بيئة المعلومات على أعتاب قرن جديد

بقلم رئيس التحرير

ها قد انتهت الألفية الثانية من الميلاد ونحن فى بداية الألفية الثالثة .. لقد شهدت الألفية الثانية وخاصة القرن الأخير منها تطورات هائلة فى بيئة المعلومات .

وبيئة المعلومات هي كل ما يتصل بالمعلومات من عمليات وأنشطة مثل الإنتاج والبث والجمع والمعالجة والإفادة ؛ ومن مرافق ومؤسسات مثل المكتبات ومراكز المعلومات وشبكات المعلومات وقواعد البيانات ، ومن تكنولوجيات مثل الحواسيب والأقراص المدمجة ووسائل الاتصال عن بعد والإنترنت ؛ ومن علوم مثل علم المكتبات وعلم المعلومات والببليوجرافيا وعلم الكتاب ؛ وأيضاً من جمهور المستفيدين منها على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم .

لقد شهد القرن الأخير وهو القرن العشرين اهتماماً واضحاً بمرافق المعلومات وما يحيط بها لما أدته من خدمات جليلة للبشرية فى مختلف نواحى النشاط .

وعندما وصلنا إلى نهاية هذا القرن وجدنا أنفسنا نكاد نغرق فى فيض هائل من المعلومات المسجلة المحيطة بنا ، فان ما أنتج من معلومات فى هذا القرن يكاد يفوق كل ما أنتج من قبله عبر التاريخ كله ، وقد تعددت أشكال مصادر المعلومات فلم تعد تقتصر على الورقيات وإنما شهد هذا القرن وخاصة النصف الأخير منه دخول وإزدهار المصغرات والمحسّبات والمليزرات واستخدمت أساليب وطرائق متنوعة للتعامل مع هذه المصادر جمعاً ومعالجة وإتاحة ، واستحدثت مرافق جديدة مثل المرافق الببليوجرافية وشبكات المعلومات وبنوك المعلومات ، وأصبحت المعلومات فى متناول الفرد بسهولة وبسرعة أيّاً كان موقع المعلومات منه ، سواء على بعد عدة أمتار أو على بعد آلاف الكيلو مترات ، وبدأت المعلومات تعامل كسلعة تباع وتشترى وتنشأ من حولها صناعة كبيرة هى صناعة المعلومات تشكل قطاعاً مهماً من قطاعات الاقتصاد المعاصر .. وبدأ المجتمع كله يتحول أو يتغير من مجتمع صناعى إلى مجتمع معلومات وتتسابق الدول والأمم إلى الدخول فى زمرة هذا المجتمع الجديد .. فى ظل نظام عالمى جديد.

تلك هى أبرز ملامح صورة بيئة المعلومات ونحن فى بداية الألفية الثالثة ..

تُرى ما الذى سيحدث فى القرن القادم على ضوء ما شهده العالم فى السنوات الأخيرة من القرن الماضى .

تشير الشواهد إلى إزدهار واضح وتطور كبير فى النشر الإلكترونى وفى التحول من المجتمع الورقى إلى المجتمع اللاورقى ، وفى انتشار الوسائط المتعددة والوسائط الفائقة وابتكار وسائط جديدة أكثر قدرة من الوسائط الحالية فى اختزان المعلومات واسترجاعها ، وسوف يشهد هذا القرن الجديد تغيراً واضحاً فى أشكال المكتبات وغيرها من مرافق المعلومات فلن تقاس قيمة المكتبة بحجمها أو

بفخامتها وإنما بمقدار ما تسهم به فى تشغيل المعلومات لخدمة مختلف الأغراض وستتضاءل أحجام المكتبات بل أن هناك من يرى أنه قرن المكتبات بلا جدران وقرن المكتبات الرقمية وقرن المكتبات الافتراضية .. وسوف يصحب ذلك بالطبع تغير فى وظيفة مرفق المعلومات ودوره فليس الحال هو اقتناء المعلومات وإنما هو مدى تأثير هذه المعلومات فى كافة الأنشطة المحيطة بالإنسان .. بل أن العنصر البشرى المسئول عن إدارة المعلومات سوف يكون مختلفاً هو الآخر سواء من حيث تكوينه أو الدور الذى يقوم به .. قد تتم إدارة المعلومات وتشغيلها من المنزل أو فى السيارة أو فى الطائرة أو فى أى مكان .. وقد تزدهر الإنترنت وتسيطر على حياة كل فرد ومن الممكن أن يتم الاتصال بها من جهاز صغير بحجم الكف أو أقل ينتقل به الإنسان من مكان لآخر وقد تتطور الإنترنت إلى صورة أكثر تعقداً ، وقد تنهار الإنترنت ويحل محلها نظام آخر .. وقد يزداد الصراع بين منتج المعلومات ومستهلكها سواء من الناحية الاقتصادية أو من الناحية الأخلاقية ، وقد لا يكون هناك وسيط بين المنتج والمستهلك .

وإذا كانت المجتمعات التى يطلق عليها مجتمعات معلومات هى محدودة العدد الآن فمن الواضح أن القرن الجديد سيشهد تزايداً واضحاً فيها، وستكون المنافسة بين الدول هى منافسة قائمة على المعلومات بالدرجة الأولي ولن يكون قطاع المعلومات هو أحد مكونات الاقتصاد فحسب وإنما سيكون هو القطاع الأكثر سيطرة والأكثر قوة ومن المؤكد أن كل ذلك سيؤدي إلى تغيرات ثقافية واجتماعية وسياسية بل وشخصية أيضاً ..

هل سيحدث كل ذلك أو بعضه الله أعلم ..

د. محمد فتحي عبد الهادي